جهد البلاء

تفريغ الطالبات للمحاضرا ت الصوتية ل/

د: أم تميم.

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه ، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يَهْدِهِ اللهُ فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شَرِيكَ له، وأشهدُ أن محمدًا عبدُه ورسولُه أما بعد...

نتكلم اليوم إن شاء الله عن موضوع أعتقد أن الجميع يحتاج إليه..

جهد البلاء

نحن في وقت تكثُر فيه الابتلاءات والفتن ويُعاني فيه الكثير من المسلمين من الآلام والهموم التي ملأت القلوب، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ:

"كَانَ يَتَعَوَّذُ مِنْ سُوءِ الْقَضَاءِ، وَمِنْ دَرَكِ الشَّقَاءِ، وَمِنْ شَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ، وَمِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ»

البخاري ومسلم (واللفظ لمسلم)

كان ﷺ يستعيذ من هذه الأربع،لأنها تؤثر تأثيرا شديدا جدًا على النفس..

1. جهد البلاء :

وهي أن يُبتلى الإنسان إلى الدرجة التي تُجهده فتُفسد عليه حياته وقلبه ومعيشته ، فلا يهنأ له عيش ولا يلتذ بنعمة وتصبح الدنيا بالنسبة له لا معنى لها وتضيق عليه الأرض بما رحُبت نتيجة اشتداد البلاء عليه.

هذه الأيام اشتد البلاء بصورة أكثر من ذي قبل وذلك يرجع إلى غلاء الأسعار وعدم القدرة على تلبية الاحتياجات الضرورية، وهذه الأوضاع ملأت القلوب والبيوت بالهموم والأحزان ولا ملجأ ولا منجا من الله إلا إليه ولا نستطيع أن نفعل شيئا سوى الفرار إلى الله ﷻ.

راحة العبد في إعمال شرع الله لا في إغفاله ...

ولو تعامل العبد مع البلاء وفق الشرع ووفق سنة رسول الله ﷺوكما علمناﷺ وكما جاء في كتاب الله سبحانه فإن هذا سيُشعره بالراحة،

أما لو تعامل معه وفق الطبيعة البشرية والنفس الجهولة الظلومة فسيلقى من المتاعب ما الله به عليم.

ولذلك فإن كلا منا يحتاج إلى التعامل مع البلاء بالوصف الذي حدده الشرع لنا في الكتاب والسنة المطهرة،فإذا ما تعاملنا مع البلاء بهذا الوصف فإنه يتحول من المحنة إلى المنحة والرضا كما كان يفعل السلف الصالح .

المخرج من جهد البلاء:

ابتداءً: لابد أن نعلم أن كل شيء خُلق بقدر .

قال تعالى:﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩)﴾[القمر]

لا يوجد أي شيء في الكون إلا وقد قدر الله له الوجود منذ خمسين ألف سنة وقبل أن تخلق السماوات والأرض، وشئنا أم أبينا فإن مشيئة الله سبحانه ماضية بمقتضى حكمته لأنه قد أراد هذا، وبالتالي فلن يُرفع البلاء بالهم والحزن ولا بالضجر والاعتراض والهلع بل إن من يتعامل مع البلاء بهذه الطريقة سيزداد بلاءً.

أمور إذا عُرفت فإنها تُخفف من وقع البلاء على العباد :

١ .الابتلاء مُكفِر للسيئات:

الابتلاءات تكفر من سيئات العباد لقول رسول الله ﷺ:

«مَا يَزَالُ البَلاَءُ بالمُؤمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ في نفسِهِ ووَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّى يَلْقَى الله تَعَالَى وَمَا عَلَيهِ خَطِيئَةٌ» . رواه الترمذي، وَقالَ: (حديث حسن صحيح)وصححه الألباني في الصحيحة بمجموع طرقه

نريد أن نسمع كلام الرسول ﷺ بأُذن الفهم والحب والتقبل لأن المُتكلم هو النبي ﷺ الذي يُبلغ عن ربه.

فيقول:إن البلاء سيُلازم المؤمن والمؤمنة في النفس والمال والولد..

☜ابتلاء المال (غلاء الأسعار ،ضيق العيش ،حالة اقتصادية سيئة)

☜ابتلاء النفس (مرض، تعب، اكتئاب، عدم الزواج سواء للشباب أو الفتيات)

☜ابتلاء الولد (عقوق الأولاد،مخالفة أمر الوالدين ،لايريدون الإذعان لأوامر الله)

تلك من صور الابتلاءات التي تنزل بالعبد على سبيل المثال لا الحصر، ثم تأتى خاتمة الحديث فتعطي السبب في كل هذا (حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة)،إذًا فإن نزول البلاء ليس انتقاما من العبد وبغض له ولا لإيقاع الضرر عليه ولكن لأن الله سبحانه أراد به الخير

حجب الدنيا عن العبد المؤمن علامة محبة

قال رسول الله ﷺ" إنّ الله تَعَالَى لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيا وهوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمُ الطَّعامَ والشّرابَ تَخافونَ عَلَيْهِ"مسند الإمام أحمد[حكم الألباني] (صحيح) انظر حديث رقم: ١٨١٤ في صحيح الجامع.

فيحمي الله سبحانه عبده المؤمن الذي يسير على الطريق المستقيم من الدنيا ولا يملكها له بالكلية لماذا؟

لأن كل من فُتحت عليهم الدنيا سقطوا -إلا ما رحم ربي وقليلٌ ما هم-، وكثيرا ما رأينا الذين فتحت عليهم الدنيا فأعطوا الرزق

الوافر (سيارات، أموال، مركز اجتماعي، وغير ذلك) إلا وقد فُتنوا في دينهم، وقل من كان حاله خلاف ذلك..

فيا مَنْ تحزن لقلة المال أو لضيق العيش ؟

ما أدراك أن ربك الكريم المنان قد أراد أن يحميك من الدنيا؟؟

كما تحمي أنت مريضك من الطعام والشراب نتيجة الخوف عليه

كمن كان ابنه مريضا بالسكر وأمامه كل أنواع الحلوى،ولكن يمنعه منها مع شدة محبته له، فلماذا؟ لأنه مريض وهو يخاف عليه ولو تركه لضر نفسه ولابد.

لابد لنا أن نعي هذه النصوص وننتبه لها لأن العباد إذا سمعوا هذه النصوص بآذان القلوب، وعلموا أكثر عن أسماء ربهم وصفاته وتعمقوا في القرآن ليستخرجوا الجواهر التي تكمن في أعماق القرآن وكذا السنة فإنهم سيصلوا إلى الطمأنينة التي تجعل القلب يستريح ويرضى بما قضى الله وقدر، فيلزمنا علم رصين يصل بنا إلى هذه المنزلة.

العلم الحقيقي هو الذي يُهيأ المسلم لاستقبال البلاء بالرضا...

حضور المجالس التي يغلب عليها جزئية الرقائق تجلب التأثر لفترة بسيطة ثم يعود السامع كما كان قبل السماع، أما العلم الرصين فإنه يجعل قلب العبد في حالة استعداد لتلقي بل وقبول الأمر عندما يقرأه في كتاب الله ﷻ ويكون هذا القبول مصحوب بترجمة العلم فيرضى ويقبل ويسعد بالقضاء وينفذ الأمر؛ لأنه علم الحكمة من هذا الأمر وعلم أن الله سبحانه قد ابتلاه في هذا الموقف لأنه أراد به الخير .

أما العمل بخلاف الفهم عن الله وبعيدا عن معرفة أسمائه وصفاته يؤذي للسقوط حال الابتلاءات حتى ولو كان المبتلى حاضرا للدروس مواظبا عليها، فيكون سماعه للدروس مجرد ثقافة دينية لا ترتقي لمرتبة العلم الرصين وبالتالي فإن القلب يجزع ويسقط عند البلاء.

قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (٩)﴾[الزمر]

أبدًا يا رب لا يستوون..

فضل العلم النافع

قال تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١١)﴾[المجادلة]

العلم له فضل ومنزلة وبالتالي فلابد لنا أن نتعلم حتى نفهم حكمة الله سبحانه، قال تعالى مُعلمًا لنبيه ﷺ :﴿ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا (١١٤)﴾[طه]

ولم يقل له ربي قل زدني مالًا أو جاهً أو سُلطانًا، وكان من الممكن أن يقول له ربه (وقل ربي زدني قيامًا لليل ،حفظًا للقرآن، صيامًا،جهاد في سبيلك) فكان من الممكن أن يطلب الاستزادة من كل هذه الأعمال -وهي أعمال محببة إلى الله بالتأكيد-، فلماذا لم يُعلم رب العالمين نبيه أن يطلب هذه الأشياء مع ما لها من أهمية (صلاة وهي على رأس الأمر،الصيام، الحج، الجهاد، بر الوالدين)؟

لسبب بسيط وهو...

أن من لم يتعلم العلم الرصين سيظل في حالة من الجهل، فإن قام بالعبادة ففي الغالب سيقع في البدع بأي وجه من الوجوه وهو لا يدري ، فلابد من الانتباه لذلك.

اعلم أن الصبر في دار البلاء يستوجب الأجر في دار البقاء

فمنع الدنيا لا يستوجب الحُزن وذلك يعيه من عَلِمَ ،أليس حال النبي ﷺ هو خير مثال! ، فالنبي ﷺ وهو سيد الخلق أجمعين لم يُعطِه الله نعيم الدنيا بأكمله، وتأمل الحديث عندما دخل عليه عمر بن الخطاب ووجده ينام على الحصير وقد أثر في جنبه ..

عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى رِمَالِ حَصِيرٍ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ فِرَاشٌ، قَدْ أَثَّرَ الرِّمَالُ بِجَنْبِهِ، مُتَّكِئًا عَلَى وِسَادَةٍ مِنْ أَدَمٍ، حَشْوُهَا لِيفٌ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُمَّتِكَ ؛ فَإِنَّ فَارِسَ وَالرُّومَ قَدْ وُسِّعَ عَلَيْهِمْ وَهُمْ لَا يَعْبُدُونَ اللَّهَ!

فَقَالَ: " أَوَ فِي هَذَا أَنْتَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟ أُولَئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا "

وَفِي رِوَايَةٍ: " أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الدُّنْيَا وَلَنَا الْآخِرَةُ؟» " مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

فهذا هو الفهم الصحيح ، رسول الله ﷺ وهو أفضل الخلق وأعلم الناس بالله فهم القضية وعلم أن الراحة والنعيم ليس في الدنيا ولكن العيش عيش الآخرة .

لأن الدنيا مهما طالت قصيرة ... ومهما كان فيها من نعيم فهو بالنسبة للآخرة حقير

فرُب راحة مؤقتة مرهونة ببقاء العبد في الدنيا ثم يستتبعها عذاب أبدي، ورُب مشقة وابتلاء مؤقت مرهون أيضًا ببقاء العبد في الدنيا ثم يستتبع ذلك راحة ونعيم وخلود في جنة عرضها الأرض والسماوات،لابد أن ننتبه لتلك المعاني حتى لا يحدُث ضيق في النفس مع الضغوط النفسية التي نتعرض لها؛ لأن النفس إذا ضاقت لن تستطيع أن تعبد ربها كما ينبغي (قد يصلي العبد ولكنه لا يعي ما

يقول،وقد يقرأ القرآن ولا يعقله، وإذا سمع درس من دروس العلم فإنه لا يجد في نفسه إقبال على المذاكرة) كل هذا يرجع إلى الانشغال بالدنيا وحبها وكذا تعلُق القلب بها، وكلما تعلق القلب بالدنيا كلما وقع العبد في الكرب والضيق علم السبب أم لم يعلمه...

فبقدر تعلُق القلوب بالدنيا بقدر البُعد عن الله سبحانه.

الزُهد محله القلب

☜ النظرية عكسية :

من يتعلق بالدنيا يبتعد عن ربه ومن يتقرب من ربه يزهد في الدنيا

لذلك فإننا نجد أن السلف الصالح يُدندن حول مسألة الزُهد، والزُهد ليس معناه ترك الطعام والشراب ،ولكن الزُهد معناه يكمن في زُهد القلوب لا الأبدان، وإلا فكم من بدن يبدو عليه الزهد وقلبه مغمور في المفاسد والبدع والشهوات وبعيد عن الله كل البُعد، فالزُهد لا يعني ارتداء الثياب الخشنة أو النوم على الأرض إنما الزُهد زُهد القلب.

يزهد القلب في حظ نفسه من الدنيا

لا يريد المدح من أحد ولا العلو ولا المناصب

متى يزهد القلب؟

إذا فهم عن الله

إذا لم يحقق العبد منزلة الزُهد بالقلب فما هي النتيجة ؟

من أحب الدنيا وتعلق بها فلن يعلو ولن يرتقي ولن يبلغ الدرجات العلا، هذه الدرجات لن ينالها العبد إلا بالعلم ... ابحثوا في القرآن ولن تجدوا شيئا يرفع صاحبه درجات إلا كالعلم.

لماذا أمر الله نبيه بالدعاء بالزيادة في العلم؟

لأن زيادة العلم تساويها ارتقاء في مدارج الكمال ، أما انعدام العلم فإنه يساويه الوقوع في البدع ولابد، مع اعتقاد هذا العبد الجاهل أنه يسير على طريق السنة بل ويدعو الناس إلى ما يسير عليه ويظن أنه على الحق وما دونه على الباطل.

فعلاج القلوب: العلم لا الرقائق

مجالس ترقيق القلوب فائدتها تحريك القلوب،ومنحها شُحنة إيمانية مجلس الرقائق بمثابة الدافع للقلب فهي تؤثر فيه وتُحركه وتؤدي إلى ليونته لبعض الوقت – ولا نقلل من أهمية ذلك بالطبع – ولكنه يعود سريعًا إلى ما كان عليه فيتهاوى مرة أُخرى ثم يبحث عن مجلس أخر ليسمع وهكذا لأن النفع عنده لا يزيد عن مجرد السمع، دروس الرقائق تُسكِّن وكما قلت تؤثر ولكنها ليست علاجا للقلوب.

الوصية بالعلم على رأس كل الوصايا

- ✓ فلا نجاة من الوقوع في البدع إلا بالعلم .
- ✓ ولا صبر على البلاء إلا بالعلم .
- ✓ وحسن الخلق يأتي من العلم .

أي شيء في الدين لن يصل العبد إليها على الوجه الذي يُرضي الله إلا بالعلم

فمع العلم يعبد العبد ربه بطريقة صحيحة (الصلاة ، الصيام ،جهاد في سبيل الله ولكن بعلم ووفق ما أمر الله ورسوله ﷺ، يحج على هدي النبي ﷺ ولا يبتدع فيه،يُطيع الله ﷻ فيما أمر ونهى)

٢. إذا أحب الله عبدًا ابتلاه

" قيل يا رسول الله من أَشد النَّاس بلَاء؟؟ قال ﷺ:الْأَنْبِيَاء ثمَّ الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه فَإِن كَانَ فِي دينه صلبا اشْتَدَّ بلاؤه وَإِن كَانَ فِي دينه رقة ابْتُلِيَ على قدر دينه فَمَا يبرح الْبَلَاء بِالْعَبدِ حَتَّى يتْركهُ يمشي على الأَرْض وَمَا عَلَيْهِ خَطِيئَة"سنن النسائي [حكم الألباني] (صحيح) انظر حديث رقم: ٩٩٢ في صحيح الجامع

من أشد الناس بلاء على وجه الأرض؟

هذا سؤال تتضح به الحقائق لأصحاب المفاهيم المعكوسة والمنكوسة،فقال ﷺ: الأنبياء الذين هم أفضل الخلق عند الله،هذا الكلام لو قيس على مفاهيم البعض فإنه لا يستقيم ..

هل محبة الله ﷻ لعبده تقتضي أن يُهيأ له سُبل النعيم أم يُعذبه؟

الله سبحانه يحب عبده وسيُهيأ له سبل الهناء والراحة والنعيم ولكن قبل كل هذا لابد من التمحيص والغربلة ، فتكون التربية ثم الجزاء.

ابتلى الله الأنبياء أشد ابتلاء وهم أفضل الخلق عنده ، ثم الأمثل فالأمثل ، ثم أعطى للمؤمنين أصل لو انتبهوا إليه وأدركته القلوب قبل العقول لاستراحت (يبتلى الرجل على حسب دينه فَإِن كَانَ فِي دينه صلبًا اشْتَدَّ بلاؤه وَإِن كَانَ فِي دينه رقة ابْتُلِيَ على قدر دينه) .

أحوال القلوب مع نزول البلاء

وبالنظر فيمن حولنا نجد أن كل من أنعم الله عليه بالعلم وتصدر وفُتح له هذا الباب يكون شديد البلاء ، وكلما ارتقى في العلم كلما زِيد له في البلاء،ولكن من يُخالط أهل العلم والفضل أصحاب الابتلاءات يشعر كأنهم غير مُبتلين .

فلماذا؟؟

مع أن ابتلاءاتهم أشد من غيرهم ؟

لأنهم امتلكوا العلم والفهم والسكينة التي تنزل على القلوب فلا يشعرون بالابتلاء،هؤلاء امتلأت قلوبهم بالطمأنينة والسكينة والرضا بالله وعن الله ومع الله،لابد من فهم هذه المعاني .

فتنة العوام باستدراج أصحاب المعاصي بالنعم :

عندما يبدأ العوام طرق باب العلم، فيحضرون مجلس ويليه آخر البعض منهم يصاب بابتلاء ما ولكنه يستمر ويثبت على الطريق ثم يعقب ذلك ابتلاء أخر،فيدور حديث بينه وبين نفسه (أنا لم أكن في هذا الحال قبل الالتزام وحضور مجالس العلم فما هي الحكمة من هذا الابتلاء؟) العوام يظنون أن هذا نتيجة الالتزام ، هؤلاء نسوا قول الله تعالى:﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ (٤٤)﴾[الأنعام]

مبلسون:يائسون .

انتبهوا لكلمات الآية: فلما نسوا ما ذكروا به : المعنى أنهم نسوا الله وانتهى الأمر بالنسبة لهم فهم لا يريدون الدار الآخرة ولا يطلبون

إرضاء ربهم؟ بل إنهم يسيرون في طريق المعاصي وتُعجبهم أحوالهم،فيكون ترتيب الكلام بعد كل هذا بالنسبة لقياس العقل أن يكون فأغلقنا عليهم أبواب كل شيء.

إنسان نسى وعصى وتكبر وتجبر وتجرأ على الله فيفتح عليه من أبواب الخيرأم أنه يغلقها عليه ؟ بحساب العقل تُغلق عليه أبواب الخير (الأم عندما يُخطأ طفلها هل تُعاقبه أم أنها تُكافئه؟ يُعاقب).

ولكن الحق تبارك وتعالى يتركه يعصي ويطغى ويبغي على العباد ولا يتوقف الأمر على مجرد الترك ولكن يُعطيه ويزيده من النِعم (يظلم فيعطيه المال ، يطغى فيُعطيه الجاه، يسرق فيُعطيه الأولاد) كحال الجبابرة، الأكاسرة ، وظالمي العباد وقاتليهم .

هل هذه النعم نتيجة حب الله لهم ؟

لا ولكن..

يقول تعالى﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ﴾

فهل هذا الفتح مُستمر يا رب ؟

لا ولكن

﴿ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾

إذًا يكون العطاء مؤقت ثم إذا أخذهم يكون أخذه أخذ عزيز مقتدر ويكون العقاب في الدنيا قبل الأخرة ، وانظروا إلى نهايات الكثير من الظلمة، كيف كانت؟

ولكنه يمهلهم...

يقول سبحانه:﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ (٤٥)﴾[القلم]

يقول ابن كثير:في الآية:كلما أحدثوا ذنبا أحدث الله لهم نعمة

قال تعالى:﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ (٣٠)﴾[الأنفال]

هذه النعم يتفضل الله بها على العُصاة ، وعلى النقيض من ذلك نجد أن أهل الفضل والعلم والالتزام يبتلون بل ويُزاد لهم في البلاء.

من لا يعلم ولا يفهم عن الله ينظر إلى الصورتين فتحدُث له فتنة؛ لذلك أقول : لابد من العلم والفهم عن الله وقراءة كتاب الله وتدبر

آياته وتفهُّم سنن الله الكونية الماضية في عباده الصالحين بالابتلاء بل بصنوف الابتلاء والعذاب حتى يحدُث لهم التمحيص والغربلة.

مثل الذهب (لا يُستخرج الذهب الخالص إلا إذا تعرض للنار الشديدة)، فالتمحيص والغربلة تحدُث ليميز الخبيث من الطيب، فيظهر مَنْ يستحق الغواية ممن يستحق الهداية،من يستحق أن يسير على الصراط المستقيم ومن لا يستحق أن يكون مع حزب الله عز وجل ، انتبهوا لهذه الكلمات حتى يتثنى لكم أن تسيروا إلى الله في سكينة وهدوء.

جيل الصحابة عرفوا الله فرضوا بقضائه

عندما اشتد البلاء بالصحابة اشتكوا للنبي ﷺ .... قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ» ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ الصَّالِحُونَ، إِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيُبْتَلَى بِالْفَقْرِ، حَتَّى مَا يَجِدُ أَحَدُهُمْ إِلَّا الْعَبَاءَةَ يَحُوبُهَا، وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ» سنن ابن ماجة، وصححه الألباني

يقصد رداء واحد لا يتغير

فمن منا وصل مستوى الفقر عنده إلى هذا الحد؟

لا أعتقد هذا مطلقًا ... حتى أن كثيرا ممن نُعطيهم الصدقات لم يصلوا إلى هذا الحد، لكن الصحابة كانوا يتقاسمون التمر وهم يُجاهدون في سبيل الله وهذا الجهاد يحتاج إلى قوة بالتأكيد، إلا أنهم لم يكن لهم زاد إلا ما ذُكر، هذا الجيل كان فريدا وعجيبا لابد من الرجوع إلى سيرهم والقراءة عنهم وفهم ما كانوا عليه من أحوال حتى نعرف طريقنا.

هذه كانت أحوالهم مع الله،إن أحدهم لا يجد إلا العباءة يحويها ،ومع ذلك يقول ﷺ: « وَإِنْ كَانَ أَحَدُهُمْ لَيَفْرَحُ بِالْبَلَاءِ، كَمَا يَفْرَحُ أَحَدُكُمْ بِالرَّخَاءِ»أتكلم عن صحابي لا يمتلك إلا عباءة واحدة ولا يمتلك حتى الطعام الذي يأكله..

فبم كان هذا الصبر؟

بفهمهم عن الله وتعلمهم العلم، فعرفوا معنى الابتلاء والمقصود منه(التمحيص ،الغربلة، محو الذنوب، رفع الدرجات، والجائزة

الكبرى: جنة عرضها السماوات والأرض يدخلها من غير حساب ولا سابقة عذاب) هؤلاء مهما اشتد بلائهم كانوا يفرحون به.

۞وقفة: علينا ألا نطلب البلاء فليس لنا قِبل به .

لا يطلبن أحد البلاء أبدا ،أما إذا وقع البلاء بالعبد بالفعل فلابد له من الصبر والاحتساب والفهم الجيد لمشهد الجزاء والثواب، قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ(١٠)﴾[الزمر]

القرآن كلام الله ولابد لنا من النظر والفهم الصحيح لهذا الكلام..

يقول الحق:﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

إذا أُخفيَّ الجزاء فاعلموا أنه عظيم ...قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ«قَالَ اللَّهُ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلاَّ الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ ».البخاري

أخفى جزاء الصيام لشدة عظمته ، العظيم عندما يوعد بالجزاء العظيم فلا تدع لعقلك مجالًا للفكر لأنك لن تستطيع أن تصل لقدر هذا الجزاء ، ولكن كل ما عليك هو أن تصبر فلا تجزع ولا تشكو

يوفى الصابر أجره بغير حساب في يوم اشتد فيه العذاب

يوم القيامة الموقف شديد ولا يتخيل أحد مدى شدته ، ولكن أخذت الدنيا العباد فلا يقرأون ولا يسمعون .... عن المقداد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «تُدْنَى الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّى تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ» . قَالَ سُلَيْم بنُ عامِر الراوي عن المقداد: فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا يعني بالمِيلِ، أَمَسَافَةَ الأرضِ أَمِ المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ؟

«فَيكُونُ النَّاسُ عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ فِي العَرَقِ، فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَى كَعْبَيْهِ، ومنهم من يكون إِلَى ركبتيه، ومنهم مَنْ يَكُونُ إِلَى حِقْوَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إِلْجَاماً» . وَأَشَارَ رَسُول الله ﷺ بيدهِ إِلَى فِيهِ.

رواه مسلم.

فمنهم من يغرق في عرقه من شدة الموقف ومنهم ومنهم....،والكل واقف منتظر أن يفصل الله عَزَّوَجَلَّ في أمره ولن يتوقف الأمر عند حد العرق بل سيلي ذلك المرور على صراط رهيب.

«ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجِسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ ظَهْرَىْ جَهَنَّمَ»،قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهَّ وَمَا الْجِسْرُ؟ قَالَ: «مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلاَلِيبُ وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ وَمَكْدُوسٌ فِى نَارِ جَهَنَّمَ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِى مُنَاشَدَةً فِى الْحَقِّ قَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِ يَوْمَئِذٍ لِلْجَبَّارِ وَإِذَا رَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ نَجَوْا فِى إِخْوَانِهِمْ يَقُولُونَ: رَبَّنَا إِخْوَانُنَا كَانُوا يُصَلُّونَ مَعَنَا وَيَصُومُونَ مَعَنَا وَيَعْمَلُونَ مَعَنَا، فَيَقُولُ اللهَّ تَعَالَى: اذْهَبُوا فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِى قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجُوهُ، وَيُحَرِّمُ اللهَّ صُوَرَهُمْ عَلَى النَّارِ فَيَأْتُونَهُمْ وَبَعْضُهُمْ قَدْ غَابَ فِى النَّارِ إِلَى قَدَمِهِ وَإِلَى أَنْصَافِ سَاقَيْهِ"

صحيح البخاري

كان النبي ﷺ يجلس مع أصحابه فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ،إِذْ سَمِعَ وَجْبَةً، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:«تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قَالَ:" قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ"، قَالَ: «هَذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ

مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الْآنَ،حَتَّى انْتَهَى إِلَى قَعْرِهَا»

صحيح مسلم

فلو ألقى شخص شيئا كان في يده كم من الوقت سيستغرق هذا الشيء في الوصول إلى الأرض (ثواني ،أم دقائق) هنا نتكلم عن حجر استغرق سبعين سنة كي يصل... فلكم أن تتخيلوا مدى هذا العمق؟

الصبر على البلاء وتحمله بشيء من الرضا يجعل العبد يسلم وينجو من هذا الموقف الشديد يوم القيامة، الله ﷻأراد بهذا الابتلاء أن يُكرم عبده ويرحمه ويعفو عنه ويغفر له ويتفضل عليه بجنة عرضها السماوات والأرض ولكن لابد من الصبر والاحتساب وعدم انزال الهم بالناس حتى لا يزيد.

وكما قالوا " من أنزل همه بالناس زاد ومن أنزل همه بالله زال"

النظر إلى المآل يجعل العبد يصبر على ضيق الحال..

فاعتبروا وانظروا إلى مآل الصابرين،أرباب العزائم وأولي البصائر دائمًا ينظرون إلى المآل لا إلى الحال،من كانت لديه عزيمة قوية وكان

صاحب بصيرة تجعله يفهم مراد الله فهذا العبد لا ينظر إلى حاله في الدنيا وما يُصب عليه من ابتلاءات فيها ولكنه ينظر إلى المآل .

وقد تكلمنا منذ دقائق عن عمر حينما دخل على النبي ﷺ فوجده ينام على الحصير...وجاء الرد من سيد الخلق وأفضل الأنبياء وحبيب الرحمن ومن رفع الله ذكره وأعلى شأنه وأول من تُفتح له الجنان وأول من يمر على الصراط أن هذه الدنيا ليست هي المعيار ولكن الجنة هي المعيار الحقيقي...

وإذا تذكر العبد النعم هانت عليه الابتلاءات،ومهما ابتلي العبد بصنوف الابتلاء فلابد له من تذكُر قدره عند الله إذا صبر...فبالصبر الجميل لله وبالتزم بأوامره فإن المآل سيكون جنة عرضها السماوات والأرض والأعظم من نعيم الجنة وأعظم ما في الجنة هو...

رؤية وجه الرحمن

وهذا هو أعظم النعيم على الإطلاق وبالتالي سيهون البلاء والضيق والعذاب .... فالأمر عظيم، لكن الشيطان يوسوس ليمنع العبد من فهم تلك المعاني حتى لا يعمل بها ويقع في المحظور فيضيع الثواب

والأجر بالشكوى أو بالسخط والجزع. من يفقه يصبر ولا يخسر الجزاء العظيم الذي ينتظره في مقابل تحمُل الابتلاءات في الدنيا ، فالله ﷻإذا أحب قوم ابتلاهم .

إذا سار العبد على الطريق فقُوبل بالبلاء فليعلم أنه عطاء:

فمن أراد أن يصبر على البلاء فلينظر إليه على أنه علامة محبة من الله، وليس سخطا . فإن كان العبد يسير على الطريق وفق الشرع الذي أمر الله باتباعه ثم نزل عليه الابتلاء فليعلم أن هذه إشارة على محبة الله له بدليل النصوص التي سبق أن ذكرناها قول الحق: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾

"أَشد النَّاس بلَاء الْأَنْبِيَاء ثمَّ الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل"

ولكم في رسل الله أُسوة حسنة:

أيوب هو خير مثال يُنْظر إليه في الصبر(هناك روايات كثيرة ذُكرت عن أيوب في باب الصبر ولكن لا تصح بأي حال ولكنها اسرائيليات لم تأت عن رسول الله ﷺ) فكل ما روي عن أيوب عليه السلام في ابتلائه سواء ما ورد في قصص الأنبياء لابن كثير أو

تفسير ابن كثير أوتفسير القرطبي، كل العلماء الذين أوردوا قصة أيوب عليه السلام في كتبهم ذكروا أنها منقولة من الإسرائيليات.

لكن للأسف بعض الدُعاة وبعض معتلي المنابر لا يذكرون أقوال العلماء ويكتفون بذكر القصة للناس وينتهي الأمر، وهذا لا يصح أبدا، لأن مصنف الكتاب يقول أن هذه من الاسرائيليات، إذًا عندما تأخذ هذه القصص وتُلقيها على الناس فينبغي لك أن تذكر لهم ذلك ولا تكتفي بذكرها لمجرد ترقيق القلوب وتعتقد أنها قد حققت غايتها وينتهي الأمر في حين أنك ذكرت قصصا أوهمت المسلمين أنها حقيقة، فالعلم أمانة في أخذه وفي إعطائه.

الصبر على البلاء يأتي بالثناء

ذكر الله ﷻ ابتلاء أيوب في القرآن وأن هذا الابتلاء كان شديدا ثم أثني عليه نتيجة لصبره على هذا الابتلاء قال تعالى:﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)﴾[ص]

فأثني عليه بالصبر، والأوبة .

الأواب: كثير الرجوع إلى الله في كل وقت وحين، ففي الابتلاء والرخاء يكون معتصم بالله وكذا في جميع أحواله، عند المعصية يتوب وينزع ويعود إلى الله و يستغفره، وعند الطاعة لا يغتر بها ولكنه يُرجع توفيقه في أداءها إلى الله.

وعند النعمة لا يغتر بها فيسقط في الإعراض والانغماس في الشهوات ، وعند الابتلاء يصبر ويحتسب ، قال تعالى:

﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ (٤٤)﴾[ص]

قصص القرآن ذُكِرَت لكي تسمعها آذان القلوب فتعيها وتعمل بمقتضاها ، وعلينا أن نقتضي بالأنبياء في الخِصال الجميلة والتي أثنى رب العالمين على نبيه لتحليه بها، فيكون العبد تواب أواب زاهد دائم الرجوع إلى الله، ففي الطاعة يكون في حالة من الشكر و الحمد لله لأنه امتن عليه ووفقه إلى أدائها ويسأل الله أن يزيده..

أما عند المعصية فنحن جميعًا بشر وبديهي أن تنزلق أقدامنا في المعاصي لكننا ننزع ونستغفرونتوب ونعود؛ لأن الرب الكريم يفتح أبواب المغفرة والتوبة والرحمة فعلينا ألا نيأس من رحمة الله، أما عند

النعمة وإقبال الدنيا فلا ننشغل بالشهوات،وعند المصيبة لا ننشغل بالابتلاء، فيكون العبد ملازمًا للطرق على باب ربه على الدوام،فهو مع الله وبالله ولله،إذا انتبهنا لتلك المعاني فإن القلوب ستستريح وستعبد الله على بصيرة.

ما يفعل الله بعذابكم إن شكرتم وءامنتم

في الحديث«إِذَا أَحَبَّ اللهُ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، مَنْ صَبَرَ فَلَهُ الصَّبْرُ، وَمَنْ جَزِعَ فَلَهُ الْجَزَعُ»رواه أحمد في المسند

الحديث يُعطي للعبد (إشارة ،علامة، بشارة) فما ذاك؟

حب الله له

بماذا ؟

بالصبرعند نزول البلاء

فعند نزول البلاء يصبر ويعلم أنه جاء من عند ملك الملوك الغني الكريم..

ما يفعل الله بعذاب العبد؟

ولم ابتلاه ؟

وما الذي سيزيد في ملكه ؟

الله ﷻ وتقدست أسمائه يقول في الحديث القدسي "يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا،يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا دَخَلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ: أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ. وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.»

رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الشاهد:أن كل أهل المعاصي والفجور لو توحدوا على معصيتهم لربهم فلن ينقص من ملكه سبحانه شيء (كان الله ولم يكن شيء فهو

الملك قبل الملوك، والخالق قبل الخلق ، وهو العزيز الرحمن ، الكبير المتعال وهو رب العالمين)

وفي المقابل: إن كان كل مخلوق ساجد عابد ملتزم مطيع للأمر وواقف عند النهي فهل هذا يزيد من ملك الله ؟

لا لن يزيد شيئا قط.

الحاصل : إنما هي أعمالكم يوفيها لكم

الله لا يحتاج إلى أعمالنا ولكننا نحتاج أن نعمل للوصول إلى الأجر والجزاء منه سبحانه ، فطاعة العباد لا تزيد في ملكه ولكنه يحبها ويرضاها ويفرح بعبده الطائع الأواب. ودراسة هذه النصوص بتعمق وبفهم جيد عن الله يؤدي إلى راحة القلب ومعرفة أن البلاء ليس مرهونا بالسخط أوالغضب أو المقت من الله ولكن الابتلاء قد يكون علامة حب ورضا إذا كان العبد يسير على الطريق المستقيم.

مسألة شهود حق الله في البلاء

الله له حق عند نزول البلاء على العبد وهو الصبر والاحتساب والأعلى من ذلك الرضا ، وفرق بين الصبر والرضا ، قد يصبر العبد ولكنه لا يكون راضيا، هناك نزاع بين أهل العلم ،هل الصبر هو الواجب أم الرضا ؟

فريق قال: الصبر واجب والرضا مستحب .

فريق قال:لابد أن يرضى العبد .

الراجح والله أعلم:الصبر واجب والرضا مستحب

إذًا فإن أقل درجة لابد من تحقيقها عند نزول الابتلاء هي الصبر فإذا أراد أن يُعْلِي العبد درجته فعليه بالرضا،كيف نرضى؟

عندما نعلم أن البلاء من عند رب العالمين الغني الكريم، حرم الله عبده من نعمة ما (لم يُعطِه الولد مثلا)، ولكن السؤال:

ما هو العائد على ملك الله نتيجة هذا المنع ؟

لا شيء

فلماذا الحرمان؟

لما سبق ذكره، تطمئن النفس ولا تجزع ثم يأتي الرضا.. لماذا؟

لأن هذه النعمة التي منعها الله عن عبده قد تكون سببا في شقائه وعذابه وكما جاء في سورة الكهف:﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا (٨٠) فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا (٨١)﴾

يمكن أن يكون هذا الولد سببا في إجهاد والديه وإرهاقهم، فهناك أولاد هم سبب في شقاء والديهم وهذا كثير بل و الغالب في البيوت، الأولاد يتصفون الآن بالعقوق على أعلى مستوى وعدم الخضوع لأمر الله، حجب الله عن عبده كل الشقاء،فلماذا التسخط على الأقدار ؟

لا تتعجل في الحكم على القضاء فإن فيه العطاء

☜انتبهوا لأن البلاء يكون في حال نزوله متضمنا جمالا ورحمة وعطاء، ولكن قد يكون العبد غير مدرك لذلك تأملوا قصة مريم " أرسل الله سبحانه جبريل عليه السلام إليها ونفخ في الجيب وحملت

بعيسى عليه السلام وعندما أتمت فترة الحمل ثم جاء موعد الوضع فقالت:﴿ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا (٢٣)﴾[مريم]

تمنت مريم عليها السلام الموت ولم تكن تعلم أنها تحمل نبي بل هو من أولي العزم من الرسل (أنبياء الله كُثر وما ذُكر في القرآن منهم خمس وعشرون أي ما ذُكر أسمائهم) وأولي العزم منهم خمسة فقط وعيسى عليه السلام منهم ، ف عليها السلام عند نزول الابتلاء تمنت الموت لأنها كانت شريفة عفيفة تقية طاهرة يصعب عليها أن تُتَهم بالزنا وهذا أمر شديد جدًا يرجع بالعار عليها وعلى أهلها ، حقيقة الأمر أنها عليها السلام ليست ساخطة على أقدار الله ولكنها لا تريد أن توضع في هذه الصورة فيُقال عليها أنها فعلت الفاحشة فحزنت جدًا وما علمت أنها ستُنجب نبي،فلننظر ولنعتبر، ويكون البلاء عند نزوله مُصاحب للصبر والرضا والفهم عن الله، أما من يجزع ويتسخط ويشتكي بل ويتمنى الموت قبل أن يحدث له البلاء فهذا قد خسر كل شيء ..

كبعض الأمهات التي قد يموت لها ولد فتقول يا ليتني مت قبله، فما أدراكِ فربما تكون حياتك بعده وصبرك على موته وفراقه واحتمالك

لكل هذا يكون سبب في وصولك معه إلى الجنة وهذه المنزلة لن تبلغيها من غير هذا البلاء.

الثقة في أقدار الله تأتي من العلم عنه سبحانه..

كان يعقوب يحب ابنه يوسف عليهما السلام، ولكن تربص أخوته به وألقوه في غيابات الجب والسبب كان الشعور بالغيرة من ناحية أخيهم لأنهم لاحظوا شدة تعلق أبيهم به ومحبته له ، ثم قابلت يوسف عليه السلام الابتلاءات والشدائد ،

بالنظر لوقت البلاء، ماذا أراد يعقوب؟

كان يريد بقاء ولده بجانبه وهذا حال الأباء ولكنه لما ذهب عنه بكى واشتد بكاؤه وكاد أن يفقد بصره من الحزن عليه ، ولكن حقيقة هذا البلاء أنه كان ينطوي على (نبوة، وعزة،وعظمة،ثم الرجوع للأهل)

أصبح يوسف عزيز مصر وهو النبي ومناقبه معروفة، لذلك نقول لابد من الثقة في أقدار الله وأن كل قدره فيه الخير لعبده حتى لو ظن العبد في ظاهره الشر، وكذلك لابد من الثقة فيه لأنه هو الرحمن الرحيم الذي كتب على نفسه الرحمة وسبقت رحمته عذابه، هذه

المعاني تضع في قلب العبد سكينة تهيأه لتلقي البلاء بالصبر لا الجزع، بالرضا لا السخط،والأعلى من هذا وذاك هو تقبل البلاء بالشكر وهذه هي أعلى الدرجات.

الفرق بين الصبر والرضا والشكر

الصبر: يعني عدم الشكوى ولكن ربما يكون في القلب اضطرابا مما يعني وجود شيء من عدم الرضا.

الرضا: قبول البلاء لأن العبد أعمل هذه المعاني التي سبق ذكرها (فعلم عن الله ،قرأ في أسمائه وصفاته) فرضي بتقسيم الملك و قضائه وعلم أن كل أقداره خير؛ لأن النبي ﷺ يقول:

« وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ» صحيح مسلم

الشر ليس لله أبدًا،نعم خلق الله الشر ولكنه لا يُحبه ولا يرضاه إرادة شرعية، سبحانه يرضاه إرادة كونية فقدر الشر كونًا لحكمة بالغة، الله سبحانه لا يُحب الفساد ولا يُحب الشر.

ولكن قد تكون الحكمة من خلق الشر هي (استخراج العبوديات من القلوب،التمحيص،الغربلة، بيان التقي من الشقي)

إذا رضي العبد بالبلاء ثم أراد أن يعلو أكثر من ذلك ويرتقي فعليه بالشكر ولكن متى يشكر؟

الشكر يأتي إما بالعلم عن الله ﷻ وإما بشهود النعمة (معرفة قدر نعم الله على عباده).

مثال:هناك بلاء ما نزل على العبد فصبر ولم يجزع ولكنه رضي بقضاء الله ثم وجد بعد ذلك أن الله تفضل عليه بنعمة عظيمة جدًا فاعتبر بما حدث ، وبعد ذلك كلما نزل عليه ابتلاء حمد الله وشكره ، ولكن لماذا الشكر ؟ لأنه استوعب الدرس وعلم أن الابتلاء يتضمن منحة وعطاء ورُقي وقُرب من الله ومعاني لا يسع القلب أن يفهمها في أول وهلة لكن الذي يسعه في أول الأمر الصبر عليه وهناك فرق، فقلوب بعض العباد عند نزول البلاء لا يسعهم أن يفهموا هذه المعاني جملة ، فإذا أدرك العبد الحكمة من الابتلاء، وأن المصيبة سيأتي بعدها علو ومغفرة ورُقي في الدين صبر، ولا نقول أن هذا سهل لأول وهلة،

ولكن يأتي بالعلم والدراية والتدريب، وبتيسير الله عز وجل، وأما المُتاح والذي يسعه القلب هو الرضا ومع الوقت يسع القلب الشكر فتنزل المصيبة عليه وهو في بداية الطريق فيصبر ثم يعلو فيرضى وعندما يفهم كل المعاني يأتي الشكر لعلمه أن في ثنايا المصيبة فضل ما بعده فضل وعطاء ما بعده عطاء واقرءوا قول الله تعالى

﴿ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٥) إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا (٦) ﴾ [الشرح]

فبعد العسر يأتي اليسر ولكن ربما يأتي العسر أولًا..

ضياع الأجر بسبب عدم الرضا

مُشكلة العباد هي ضيق الفهم وقِصَر النظر وكلاهما يؤدي إلى ضياع الأجر، فضياع الأجر يكون بسبب الجزع والشكوى وعدم الرضا عن قدر الله فإذا حدث ذلك جاء سخط الله على العبد، إياكم والسخط لأن من رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط .

تابع الأسباب التي تُهون على العبد تقبُل الابتلاء:

٣.معرفة الذنب وشهوده

قال تعالى:﴿ أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١٦٥)﴾[آل عمران]

عندما تنزل على العبد مصيبة فيتسائل لماذا أُصبت بها فيأتي الرد القرآني قل هي من عند أنفسكم قال تعالى:

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ(٣٠)﴾[الشورى]

أي مصيبة بما كسبت أيديكم من ذنوب ومعاصي وتقصير وتفريط...

ابتلاءاتنا حصائد أعمالنا

الإشكال في الذنوب مع قلة العلم هو وقوع العبد في الذنب دون أن يشعُر لأن الذنوب منها ما هو خفي ومنها ما هو جلي، الذنوب الجلية يعلمها كثير من المسلمين أما الذنوب الخفية فلا يعلمها إلا بعضهم ، الذنوب الجلية مثل(السرقة ، القتل ، الزنا)فيأتي الأخ يقول أنا أُصلي وأصوم والحمد لله ولا أسرق ولا أزني فلماذا تأتيني المصائب؟ وهنا يكمن الإشكال .. عدم العلم بالذنب من الأصل.

تأمل: شرع الله لنا الصلاة ثم أمر بعد هذه الصلاة مباشرةً بالاستغفار ثلاث، فهل سأل أحدنا نفسه لماذا يستغفر العبد ربه ثلاثا بعد انتهائه من الصلاة – أي الطاعة – مباشرةً !،هل كان في طاعة أم معصية حتى يستغفر؟

فمن أي شيء نستغفر؟

تستغفر عن تقصيرك في أداء حق الله ﷻ في الصلاة، الحق تبارك وتعالى أمر بإقامة الصلاة وما نفعله لا يُسمى إقامة للصلاة، وكذا فإن الاستغفار يكون عن التفريط وعن الذنوب التي لا نعلمها، فهناك ذنوب في القلوب لا نعلمها (كبر، عجب، حسد، حب البدعة، ذنوب كثيرة لا يعلمها إلا الله)لا يعلمها أصحابها لأنهم لم يتعلموا العلم الشرعي وإلى أن يتعلموا ويعلموا فلابد من الاستغفار

العبد يفعل الكثير من الذنوب منها ما هو ظاهر له ومنها ما هو غير ظاهر.

مثال: من الذنوب التي قد يعِدها البعض بسيطة ولكنها عند الله عظيمة؟ مكالمة التليفون التي تستمر عشر دقائق أو أكثر قليلًا وقد

تكون ساعة أو أكثر .... فلو جربنا تسجيل هذه المكالمة ثم كتابة ما دار فيها، لرأينا عددا هائلا من الذنوب التي أُقترفت والتي قد لا يعدها صاحبها من ضمن الذنوب أصلا..

وما بالنا بالذنوب العظام التي نقترفها ونحن لا نعلم ، فمثلا أكل لحوم المسلمين أصبح من أسهل الذنوب التي تحدُث على الهاتف أو على شبكات التواصل الاجتماعي .

قال رسول الله ﷺ:" إنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ من سخطِ اللهِ ، لا يُلقي لها بالًا ، يهوي بها في جهنَّمَ"صحيح البخاري

فكم كلمة قيلت في هذه المكالمة،وبعد المكالمة تنزل المصيبة فنسأل

ماذا فعلت ليحدث لي كل هذا ؟

أنا كنت أُصلي ولم أعمل أي شيء؟؟

نعم أنت صليت ولكن بعد الانتهاء من الصلاة تكلمت في الهاتف وذكرت سيرة البعض فأكلت لحومهم وأنت لا تدري، أنت حضرت درس علم ولكن بعد عودتك دخلت على شبكة التواصل

الاجتماعي وأطلقت اللسان فنال من بعض العلماء أو إخوانك من المسلمين، فلا نلوم إلا أنفسنا ولنستشعر عظم الذنوب التي نقع فيها، هذه أبسط المصائب التي يقع فيها ملتزمين وملتزمات أو غير ملتزمين وهم لا يلتفتون إليها أساسًا فضلًا عن أن يكون أحدهم عمله قائم على بدعة أو حسود أو مُحارب للسنة أو حقود أو مُتكبر،فأمراض القلوب كثيرة...

قال عليٌّ رضي الله عنه " ما نزل بلاء إلا بذنب وما رُفع إلا بتوبة ".

المصائب تنزل بالذنوب ولا تُرفع إلا بالتوبة وبالتالي فلابد من الإكثار من الاستغفار وقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :

(وَاللَّهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً)

رواه البخاري ٦٣٠٧

فكم مرة نحتاج نحن؟

الكثير والكثير بالتأكيد..

أيضًا من أسباب الصبر على البلاء

٤ .معرفة أن الله سبحانه قد اختار لعبده هذا البلاء بالتحديد دون غيره

هذا منع عنه نعمة الأولاد ، وهذا منع عنه المال، وهذا أنعم عليه بالولد ثم حرم منه، وهذا ابتلي بالمرض، فيقول العبد أنا في رضا ولكن لو كانت المصيبة في شيء آخر لهان الأمر، مجرد هذا القول قد يكون اعتراضا...

لأن الله ﷻ أعلم بحال عباده يعلم أن هذا يُناسبه المرض ، وهذا يُناسبه الفقر ، وهذا يناسبه عدم الانجاب ، كلٌ منا فُصِّل له ابتلائه الذي يُناسبه ويتوافق معه، ولو نظر أحدنا إلى بلاء غيره وأراد أن يُبادله فسرعان ما سيعود إلى بلائه وسيتقبله، بل ويتوافق معه أكثر لو شاهد منزلة ارتضاء الله له هذا البلاء دون غيره...

فإنه في هذه اللحظة يُحقق منزلة العبودية، لعله أنه عبدٌ لله وليس له من الأمر شيء،ليس لنا أن نختار لأننا عبيد في ملك الله، فإذا ما اختار العزيز العليم يكون الرد سمعنا وأطعنا، رضينا بالله ربًا

وبالإسلام دينا ، فاختيار الله للعبد هو أفضل الاختيارات هذا هو ما ينبغي استشعاره، أما من لم يُحقق العبوديه وخرج من تحت مظلتها وأصبح طليق يسير خلف نفسه فقد وقع في المصائب (الشهوات، الشبهات) وهذا ضلال وضياع هذا هو حال العبد إذا أوكله الله لنفسه.

وازع الخير في القلب ينمو بحسن التوكل على الله

نحن نقول في أذكار الصباح والمساء :

" يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ " أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ وَالْبَزَّارُ- وحسنه الألباني في الصحيحة

لأنه لو أوكلنا لأنفسنا طرفة عين لضعنا

اعلموا أن العبد ما وقع في المعصية إلا لأن الله ﷻ قد أوكله لنفسه وخلا بينه وبين المعاصي، ولو أحسن العبد التوكل على الله لجعل بينه وبين المعاصي حجاب يحجبه عنها ... ومن هذه المعاصي الغيبة التي هي من أكثر الذنوب التي تحرِق الحسنات حرق، فالمغتاب في لحظات يحرق جبالا من الحسنات .

والغريب أننا في الصباح والمساء نقول " ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين"

والله ما فهمنا معناها ولا عقلنا مخزاها ولا سألنا الله أن يحفظنا بها فلم تُقال بيقين لأن القلب ساهٍ غافل لاهٍ عن معنى الدعاء فنقول ثم نقع في المحظور، ويُبرر بعضهم ذلك فيقول: أنا لم أقل شيء ، أنا بفضفض بشتكي، أصل أنا عاوز نصيحة ولهذا فإنني أغتاب ،كل من يريد أن يُخطئ يحاول أن يجد لنفسه رخصة تُبرر له تقطيع لحوم المسلمين.

في حين أن من قالها بيقين ثم ذهب ليُجري مكالمة على الهاتف فما يزال عليه من الله حافظ يمنعه من الوقوع، وازع الخير في القلب يمنع، كأنه يقول أيها العبد توقف ... فهذه غيبة ، توقف.... فهذا أكل للحوم العباد ،توقف واتقالله فأنت تنال من المسلمين.

ذنوب تسهُل على اللسان ولكنها شديدة عند الرحمن

انتبهوا لأمر الغيبة لأنه عند الله شديد فإياكم والغيبة، فعند الله تجتمع الخصوم ،وأكبر سبب يحول بين العبد والوصول إلى الله وفهم العلم

وحفظ القرآن هو اللسان وآفاته وعلى رأسها الغيبة ، هذه آفة يبغضها الله ويبغض صاحبها ويكون عذابه شديد .

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ ظُفُرٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرَئِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ» " رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

فكان الجزاء من جنس العمل، فكان يأكل لحم أخيه فيغتابه ويُقطع لحمه وكذلك يأتي عذابه فيُقطع لحم نفسه في الآخرة

قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ (١٢)﴾[الحجرات]

الله عَزَّوَجَلَّ يضرب مثلا لمن يغتب أخيه فيكون في صورة تنفر منها النفوس؛ وليتخيل العبد وهو يغتاب أخاه أنه جالس أمامه بعدما

فارق الحياة ثم يمُد يده ويقطع لحمه ويأكل منه،هذا لا يليق بمسلم أبدا..

لن نُمكَّن وتُرفع راية الدين إلا بحسن الخلق والزهد في حظ النفس

سوء الخلق وكثرة الذنوب والمعاصي تؤدي إلى سوء أحوال المسلمين الذي نراه ولا يخفى على أحد، وللأسف لا نتقدم إلى الأمام خطوة، بل أننا نُداس بالأقدام في كل مكان،فكل بلد نجد فيها اضطهادا وقتل وإهانة وإذلال يكون للمسلمين، لماذا؟

لأننا أصبحنا أهون الناس على الله وما كان هذا إلا لأننا علمنا ودرسنا وفهمنا وما زلنا نُعاند الله ونُشاقق الله ، الله يقول الغيبة كأكل لحم أخيك ميتا ولا فائدة ، النبي ﷺ يقول أظافر من نحاس تخمش الوجوه والصدور ولا فائدة، يأتي لحضور الدرس ويعلم عِظم الذنب ولا فائدة....مستمرين على الذنوب .

الغيبة مثال ذكرته، ناهيكم عن الرشوة والسرقة والربا والحرام والحقد والحسد والذنوب التي لا حصر لها كيف يكون لنا دولة قوية للإسلام أو الشريعة، من أين يأتينا هذا وتلك أحوالنا..

لماذا ينصرنا الله ويجعل دولتنا إسلامية قوية ويُقيم لنا شرعه على الأرض بهذه الأحوال؟

من يُطالب بهذا يُعطيني أمارة أو علامة لماذا نُمنح النصر وتعلو الرايا؟

سأل رجل الشافعي فقال" يُمكَّن العبد فيشكر أم يُبتلى فيصبر؟؟"

قال الشافعي:(لا يُمكَّن حتى يُبتلى)

لا تمكين قبل الابتلاء والتمحيص والغربلة ويذهب كل هذا الغثاء ثم يأتي جيل التمكين وهو الجيل الذي يُحبه الله عز وجل ورسوله بصدق ، الذي إذا خرج ليُنافح عن قضية ما يكون خروجه خالصا لله وليس لحظ نفسه،وكذا الصلاة لله ،وحفظ القرآن لله ،عندما تطهر القلوب بهذه المعاني سيأتي التمكين أما قبل هذا فلا تنتظروا التمكين،لابد للقلوب أن تطهر من حظ النفس فتزهد فيه وتتحلى بمكارم الأخلاق ، يقول النبي ﷺ:" إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ"

أخرجه أحمد وصححه الألباني في الصحيحة

جاءت البعثة بحسن الخلق ، أين نحن الآن من حسن الخلق؟

ولننظر لأي علاقة تربط بين اثنين وهذه العلاقة وثيقة جدًا بينهما ثم يحدث شيء يُعكر صفو هذه العلاقة مع العلم هما يقولان أن ما يربطهما هو الحب في الله .

تُرى ما هي ردة فعل كل منهما تجاه الآخر؟

أين الحب في الله ؟

أخيرًا أوصيكم بالصبر على البلاء وشكر الله وحمده، والعلم أن في طي الابتلاء نعما كثيرة جدًا قد يغفل عنها العبد أو لا يراها في البداية لكن يقينًا كما نرى الشمس في كل ابتلاء نعمة ومنحة وعطاء من الله ولكن يسبق ذلك الصبر والاحتساب والرضا بقضاء الله وضبط النفس فلا جزع ولا هلع ولا اعتراض على أقدار الله لأنه سبحانه يعلم.

قال تعالى ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٤)﴾

[الملك]

هو الذي يعلم ما يُصلح العبد وما يُفسده ، وأي ابتلاء يُربي وأيها يُهذب وأيها يُرقي. الخبير اللطيف خبير بحال عباده ولطيف يُعطي على قدر تحمل العبد فتلقوا الابتلاء بصدر مُتسِع وعقل فاهم وقلب مليئ بحب الله ﷻ وتقدست أسماؤه.

جزاكم الله خيرًا..